المرأة في المجتمع الإسلامي واقعها ودورها في الماضي والحاضر

دراسة وصفية في ضوء فقه السيرة

Woman in the Islamic society and her role in the Past and Present

د. أحمد سعيد جان*
د. محمد سعيد شفيق**

Abstract:

There is no doubt that Islam has provided basic and permanent rules and guidance for the establishment of better and peaceful society. And has given equal rights to man and woman to established a strength in society, therefore a Muslim woman has a Key role In the Islamic society. When we study the Islamic history and seer'ah we can find tremendous examples of the role of the women in the Muslim's society.

Muslim woman plays her role in different shapes in the society, like Mother, Daughter, sister, and teacher. Apart from this contribution Islam has given her opportunities to play her role in different fields of the life, under the umbrella of Islamic rules and ethics.

Key Words: Islam, Woman, Role of Woman, Society**.**

تمهيد:

الحمد لله رب العلمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد!

خلق الله الإنسان وجعل من من يتكون المجتمع على كوكب الأرض، وجعله خليفة على الأرض، فوجوده على الأرض أمر ضروري لابد منه، لأنه هو العنصر الأساسي

*محاضر بقسم اللغة العربية، جامعة بشاور

**الأستاذ المساعد بقسم العلوم الإسلامية، جامعة ويمن مردان

لبناء ولتشكيل المجتمع، لولاه لما وجد المجتمع، لذلك ترى زينة المجتمع على رصيف الأرض لأجله وقد قيل: شرف المكان بالمكين.

الإنسان عبارة عن حيوان ناطق عند المناطقة، وهو ينقسم إلى صنفين أي الرجل والمرأة، وهما اللذان يكملان بعضهما بعض، ومنهما وجود الأسرة في العالم، وذلك اذا تعلق بينهما عقد الزواج فيبدو بينهما مودة ورحمة،

كما قال الله تعالى:

[ومن آيَاتِهِ أَنْ خَلَق لَكُم مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتسكُنُوا إِلَيْهَا وَجعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً][1]

والأسرة هي أساس ولبنة في بناء المجتمع، فالمجتمع بدون الأسرة ناقص، والأسرة بدون الرجل والمرأة لا وجود لها، لذلك ترى أهمية الرجل والمرأة في المجتمع. وقد أشار سبحانه وتعالى إلى هذا:

[يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ خلقناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقبائِلَ لِتَعَارَفُوا][2]

فالأنسان من عمار الأرض وسكانها لذلك أشار تعالى إلى هذا:

[هوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فيهَا][3]

أي أن الله تعالى هو بدأ خلقهم من الأرض، وجعلهم من عمارها وسكانها[4]، فعمارتها بفضل الإنسان لأنهم هم سكانها.

أهمية وجود الرجل والمرأة في المجتمع:

لا ينكر أحد عن أهمية وجود الرجل والمرأة في المجتمع، بل يعدان من عجلتا المجتمع الذي يسكنان فيه لذا يلعبان دورا هاما في تشكيلها وتكوينها. ثم كل منهما مفوض إليه الأمر ما يليق بطبعها وصنفها، فالرجل مفوض إليه الأمور خارج البيت ويقوم بوظيفته ويطلب منه نفقة زوجته وأولاده، وكذلك يفوض إليه عنان الإمارة، فهو يكون أميرا أو ملكا أو يعمل عمل آخر، بينما المرأة تدار الأمور داخل البيت وفي نفس الوقت تحمل الولد تنجبه، ثم ترضعه وتقوم بتربيته. فوجودهما أمر لابد منه في

المجتمع. هذا الأمر يتطلب أن يكشف عن حقيتهما في المجتمع ولكن اخترنا في هذه المقالة أن نبين ما للمرأة من دور في بناء المجتمع وتربية الأولاد وخاصة دورها في المجتمع الإسلامي.

المرأة ودورها في المجتمع:

تعتبر المرأة من أهم مكون للمجتمع وشريكة مع الرجال في هذا المجال. وذكرنا آنفا أن المجتمع بغيرها غير كامل، ثم إن دورها كبير في بناء المجتمع لأنها نصف المجتمع، لذا تستحق رعاية بالغة في هذا الصدد، فيليق بها أن تعطى حقها وتمنح كل ما تحتاج إليه، وتوفر لها كافة السبل الممكنة لأجل أن تنهض بالحياة على رصيف الأرض، ولو تواجه المشاكل في أدآء حقها، وإدارة بيتها فتنحل لها، وتفرغ عنها، كي تسهل عليها أمرها، وكيف لا ترعى ولا تعطى حقها وهي تربي أولاد المجتمع وتحفظ بيت الزوج. والإسلام راعى كل هذا.

لقد اختصت فطرة المرأة بالحمل على الرضاع، وحضانة الأطفال، وتدبير شؤون المترل.

المرأة هي عبارة عن أخت وبنت وأم وزوجة في المجتمع، تسكن مع الزوج في بيتها لذلك هي مسؤلة بيت زوجها، ،وهي تقوم بتربية الأولاد، والرضاعة، والحضانة،والحنان، والأعمال التي تناسبها فتعليم الصغار وإدارة مدارسهن والتمريض والتطبيب لهن ونحو ذلك من الأعمال المختصة بالنساء[5]. وتوفر كل ما يحتاج إليه الولد.

فلو تعرف تدبير المترل لتكون الأسرة سعيدة، ولو لم تعرف تواجه الأسرة المشاكل وأحيانا تنعدم من البين.

لذلك تعتبر ركن ركين في المجتمع، بل إنها نصف المجتمع، ومهدها أول مدرسة للولد، فلو صلح مهد الأم صلح المجتمع، ولوفسد مهد الأم فسد المجتمع.

لذا شجع الرسول — صلى الله عليه وسلم- أمته مصاحبة الزوجة الصالحة وذلك لأنها تحفظ عقيدتها وفراشها وبيتها، وتعرف حق زوجها، وتراعي الأولاد، وترسخهم عقيدة صحيحة إسلامية:

[تُنْكَح النساء لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَجَمَالِهَا، وَحَسَبِهَا، وَدِينِهَا، فَاظْفَرْ بذات الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ][6]

ثم إن مهد الأم هي أول مدرسة للطفل، لذلك يبدأ التعلم من مهد الأم، وتعلم الطفل من مهد الأم ذاكرة لا تنسى حتى قيل:

"أطلبو العلم من المهد إلى اللحد"[7]

الطفل يشب مع الأم ويترعرع ، فهي تشكل له اتجاته وآراه، ويتم شخصيته، ويكون إنسانا كاملا، مرجع الكل بعد ولذا قال رسول الله ﷺ:

كل مولود مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه "[8]

فالولد مودع في يد الأبوين، وهما مسببان له في تعيين الطريق بعد أن خلق الله تعالى على فطرة الإسلام وهو الإيمان الفطري كما يليق بشأن الطفل وذلك إما بتعليمهما أو بترغيبهما إياه[9].

أما دور الأم في ذلك فهو أمر يعتبر لأنها تربي الطفل وترعرع الولد معها، وتنشيء له الآراء والاتجاه فبصلاحها صلاح الولد، وبفسادها فساد الولد.

خلاصة أن المرأة تلعب دورا هاما في بناء المجتمع وتربية الجيل، كما تجوزللمرأة أن تتولى الأعمال المتعدية النافعة، فتتولى التعليم والتدريس إذاكانت ناصحةً، وكذلك تتولى العلاج والطب وإن أمرها هذا أهم من أمور الرجال لو تعمقنا النظر فيها ولو رجعنا إلى تربيتها لطفلها.

الإسلام والمرأة:

الإسلام دين الفطرة، ودين الهداية، ودين الحلم والعلم يهدي للتي هي أقوم، الذي هو طريق الخيروقد اهتم الإسلام بالمرأة اهتماما بالغا، وأعطاها حقها، وجعلها مربية ومعلمة للجيل المسلم، وارتفع بها إلى أبعد غاية من كمال النفس، وسمو الحياة،

وعظم المكانة، وجعلها أن تكون العضد الأقوى. بينما يُنظر إليها عند الشعوب الأخرى كالأنعام، محرومة الحق والتعليم. ثم بفضل معلم الأمة الرسول — صلى الله عليه وسلم– فلم يترك أي مجال إلا وقد أرشد أمته بأن يعاملوا المرأة معاملة الإنسان الكامل الحر، لأنها إنسان محترم، لا يحل أن تحبس هي كرها. بل أمر الله تعالى:

[وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوف][10]

ثم أمر الرسول–صلى الله عليه وسلم– الرجال بأن أحسنوا إليهن، ولايزال يردد في وصاياه:

"اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا"[11]

فمن الواجب على المسلم أن يكون حنونا وعطوفا ومحلا لأسرته ولينا في المواقف التي تتطلب الين منه[12]

ثم شريعتنا الغراء تراعي من حقوق المرأة ما يلائم فطرتها وتكوينها ما لم تعهده أمة من الأمم على مر العصور.[13] وقد أحاط الإسلام عزتها وكرامتها. وجعلها من أكرم الناس فمن حق المرأة في الإسلام أنها تحت رعية الرجل، وهو مسؤل عن رعيته فيعطيها حقها، ثم جعل لها نصيب في الميراث. فرض على الرجال لهن مهرا كاملا، اختصت بها المرأة المسلمة دون غيرها من النساء، تقبضها وتنفقها كما تشاء. حق الزوجة على الزوج في الإسلام وبالعكس كما قال رسول اللهﷺ:

ألا إن لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا،فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون. ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن"[14]

ومن حق المرأة في الإسلام المساواة بين الزوجات، وأن تعطى كل منها حقها، وأن لا يميل الزوج إلى أحدها دون سواها وإلا فيعاقب عل هذا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"مَنْ كَانَ لَهُ امْرَأَتَانِ يَمِيلُ لِإِحْدَاهُمَا على الأخرى جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَدُ شِقَّيْهِ مائل"[15]

فإن عجز الزوج عن حقوق المرأة المقررة في الإسلام تطلقها معروفا ولا تحبسها كالحيوان.

ومن حق المرأة في الإسلام أنها تعلم وتربى تربية صحيحةلا ترى له المثيل في هذا.

المرأة عند الشعوب الأخرى من غير المسلمين:

الإسلام دين يحترم الناس فردا وجماعة، راعى كل من الرجل والمرأة. وأعطى كل مستحق حقه، لذلك لو نقارنه مع المذاهب الأخرى لتكشف الحقيقة أنه لم تعني أي حضارة ولادين عنيت بالمرأة كعناية ديننا الإسلام بها، ولو رجعنا إلى التاريخ وجدناها محرومة الحق عند الآخرين. فلها في الإسلام المقام الأعلى، وهي تتمتع بشخصيتها المحترمة المكرمة ذات حقوق مقررة لاتحرمةو وواجبات معتبرةلاتجهل عنهاز الإسلام يحترم المرأة احتراما بالغا، ويعتبرها إنسان مكرمة مبجلة وإليه أشار سبحانه وتعالى:

[وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ][16]

أما الحضارات القديمة قبل الإسلام فتهدف إهانة وتجريد للمرأة من إنسانيتها وغض البصر عن حقوقها. والقضية تنكشف عند الرجوع إلى التاريخ وعند الكشف عن حقيقة المرأة عند الشعوب الغير الإسلامية والبيان كما يلي:

المرأة عند اليونان:

اليونان من أرقي الأمم القديمة حضارة، وأبلغهم تمدنا، ولكن لو تأملنا في عصرهم وجدنا أن المرأة في أسوأ حال في مجالات حياتها، كانت المرأة تعتبر في مجتمعهم محصنة وعفيفة فهي لا تغادر البيت، ولكنها كانت محرومة من الثقافة بل لا تسهم في الحياة بقليل ولا كثير. وكانوا يحتقرونها إلى حد ما حتى سموها رجس من عمل الشيطان وهي متاع تباع في الأسواق وتشترى، لا حرية لها ولامكانة في كل ما يرجع الى حقوقها المدنية. وهي حيوان لاحق لها في الميراث ولا في الزواج. وأبقوها خاضعة لسلطة رجل وكل إليه أمرها يفعل بها ما يشاء. فخلاصة لاتصرف، ولاحق لها عندهم في حياتها الاجتماعية.

قال سقراط: "إن المرأة تشبه شجرة مسمومة حيث يكون ظاهرها جميلاً ولكن عندما تأكل منها العصافير تموت حالاً"[17]

المرأة عند الروم:

يعتبر الرومان من الذين بلغوا ذروة المجد بعد اليونان، ولكن حالهم لا تختلف في أول الوهلة عن اليونان في حق المرأة، فهي مقيدة تحت سلطة الرجال، وحيوان وحشي لا عبرة له، بل أحيانا تذبح وتقتل. وكان شعارهم في ذلك:

"أن قيدها لا يتزع، ونيرها لا يخلع"[18]

ولما تقدم الرومان وشاع المدنية والحضارة قلب الحال نحو المرأة ولكنها تنظر بنظرة الاحتقار، وتعامل معاملة الخدم، وشاع الفحش فيهم فها هي النساء والرجال يستحمون في مكان واحد. وكثر تعدد الأزواج عند النساء من غير حياء. بهذا تمزقت الدولة الرومان شر ممزق.

المرأة عند أهل الهند:

تميز أهل الهند بطابع العلم والتمدن منذ القديم، ولكن حالة المرأة لم تكن أحسن من اليونان أو الرومان. و لم يكن للمرأة في شريعتهم حق الإستقلال عن أبيها أو زوجها أو ولدها، فاذا مات هؤلاء جميعاً وجب أن تنتمي إلى رجل من أقارب زوجها، و لم يكن لها حق في الحياة بعد وفاة زوجها بل يجب أن تموت يوم موت زوجها وأن تحرق معه وهي حية على موقد واحد حتى سطع نور الإسلام في أيام الملك الصالح أورنك ذيب[19] فأبطل تلك العادة القبيحة[20].

وكانت تقدم قرباناً للآلهة لترضى، أو تأمر بالمطر أو الرزق.

وفي بعض مناطق الهند القديمة شجرة يجب أن يقدم لها أهل المنطقة فتاة تأكلها كل سنة.وجاء في شرائع الهندوس: ليس الصبر المقدر، والريح، والموت، والجحيم، والسم، والأفاعي، والنار أسوأ من المرأة[21].

المرأة عند اليهود:

اليهود يقولون أن المرأة لعنة لأنها سبب لإغواء آدم، وخرج آدم من الجنة لأجلها لذلك هم يسلكونهن سلوك الخادم في البيت، لا حق لها، في المجتمع ولا في ميراث أبيها، فقط لا حق المهر.

المرأة عند المسيحيين:

لقد هال رجال المسيحية الأوائل ما رأوا في المجتمع الروماني من إنتشار المنكرات والفواحش, وما آل إليه المجتمع من إنحلال أخلاق شنيعة اعتبروا المرأة مسؤولة عن هذا كله، لأنها كانت تخرج إلى المجتمعات، وتتمتع بما تشاء من اللهو، وتختلط بمن تشاء من الرجال كما تشاء،فقرروا أن الزواج دنس يجب الابتعاد عنه، وأن العزب عند الله اكرم من المتزوج، وأعلنوا أنها باب الشيطان، وأنها يجب أن تستحيي من جمالها لأنه سلاح إبليس للفتنة والإغراء.

واستمر احتقار الغربيين للمرأة وحرمانهم لحقوقها طيلة القرون الوسطى حتى ان عهد الفروسية الذي كان يظن فيه أن المرأة احتلت شيئاً من المكانة الاجتماعية حيث كان الفرسان يتغزلون بها ويرفعون من شأنها، لم يكن عهد خير لها بالنسبة لوضعها القانوني والاجتماعي، فقد ظلت تعتبر قاصرة لا حق لها في التصرف بأموالها دون إذن زوجها.

وفي قانونهم أن المرأة تباع، ولا حق لها أن تعود إذا باعها أبوها أو زوجها، وقد جاء النص فيه على أن القاصرين هم: الصبي والمجنون والمرأة، واستمر ذلك حتى عام 1938محيث عدلت هذه النصوص لمصلحة المرأة[22].

المرأة عند العرب قبل الاسلام:

نرجع إلى المجتمع العربي قبل الاسلام، فنجد أن المرأة محرومة في كثير من حقوقها، فليس لها حق الارث، وليس لها على زوجها أي حق، بل يعتبر كحيوان بل أشد حالا، وعند البعض تقبر حيا. وعند البعض ولادتها عار كما أشار إليه القرآن:

{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}[23]

فوصلت المرأة إلى مستوى الإنحطاط، والزل والهوان، حتى لايعتبرها أحد في الإنسانية، معدومة الحق، لا إرث لها ولا حق، وأمرها بيد وليها[24].

هذا هي حالة المرأة عند الشعوب الأخرى قبل الإسلام، ولما جاء الإسلام أعطاها حقا، وأعزها وأعطاها شرفها وهذا سنرى في الفقرات التالية.

وقد أشرنا آنفا من مكان المرأة في الإسلام فلا لنا أن نعود بالتفصيل.

المرأة في الوقت الحاضر:

لا شك فيه أن المرأة لعبت دورا هاما في الماضي ولاتزال تلعب، وحقت لها أن تلعب، وهذا الأمر يتطلب منها، ولكن ليس حالها مثل ما كان سابقا في المجتمع الإسلامي. فالمرأة كانت زينة البيت، تحمل المشاكل وتزين البيت لزوجها وتظهر لها الحب، وتهئ الجو اللائق في البيت، وتربي الأطفال تربية إسلامية صحيحة، وترسخ العقيدة، وتهتم بشأنها، وترعي زوجها. ولكن الآن تغفل وتتساهل عن وظيفتها بأكثر، وتلبي دعوة التغريب المسماة بالتحرر والانتزاع، وطلب المساواة بينهاوبينالرجل!

فإذااستجابت المرأة المسلمة لدعوتهم تلك فسيؤدي ذلك حتماً إلى إفسادهاثم إلى فسادالمجتمع وتدميره بأقصرالطرق وأسرعها؛ لمالهامن تأثيرفعال في ذلك، ممالايستطيع أن ينكره عاقل.

فعلى المرأة المسلمةأن تصلح نفسها، ولاتكون عوناً لأعدائها وأعداء أمتها؛ بل يجب عليها أن تعي وتدرك ما يدورحولها من خطط لإبعادها عن دينها ورسالتها في هذه الحياةوتهميش دورها في بناء مجتمعها الإسلامي، وإشغالها بتوافه الأمور، وإضاعة وقتها في تتبع ماتبثه الفضائيات.

المرأة بصورها المختلفة في المجتمع الإسلامي:

لم ينقص من حق المرأة في المجتمع الإسلامي فأعطيت حقها كاملا، بل اعتبر إنسانا كاملا، وذلك بتقرير أنها نصف المجتمع من حيث العدد، وأن لها أهمية ودورا خاصا في بناء المجتمع وتربية الجيل، وجعلها عنصر فعالا في نهوض المجتمع، لذلك اهتم ديننا بها وأعلى من شأنها، وصانها عن العبث، بل أمرنا الرسول – صلى الله عليه وسلم- برعايتها فقال:

{وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ}[25]

ثم بتربية الرسول- صلى الله عليه وسلم- وصلت هذه الأمة الإسلامية إلى مجد وعظمة لم تصل إليها أحد لذلك تظهر المرأة في المجتمع الإسلامي بصورها المختلفة وسنقدم النماذج من سيرهن خلال الدراسة:

أ: المرأة كأم الحنون:

تظهر المرأة في المجتمع الإسلامي كأم حنون وذلك بتربية رسول الله ﷺ فتشق على أولادها تعاني بحمل الجنين، تلد وترضع، وتقوم علي أمرولده وتربيته أكثر مما يعانيه الأب ، لذلك أوصى تعالي:{ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا علي وهن، وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك والي المصير}[26]

وأوصت الشريعة الإسلامية الإبن أن يكون برا بأمها أكثر من والدها، ويطيع لها ولا يتساهل في حقها، ذلك مما يؤكد حنان الأم وشفقتها لذلك ورد في حديث الرسول –صلى الله عليه وسلم- وعن أبي هريرة رضي الله عنها قال: جاء رجل إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال يارسول الله : من أحق الناس بحسن صحابتي؟قال : أمـك. قال: ثم من ؟ قال: أمـك. قال : ثم مـن ؟
قال: أمـك. قال : ثم من ؟ قال: أبـوك[27].

وذلك لأن الأم تحمل الصعوبات طوال الحياة لأجل طفله، ففرحة الطفل فرح الأم ، وابتسامته ابتسامتها ، وبكاءه بكاءها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ رِجْلَيْهَا[28]"

ب: المرأة في المجتمع الإسلامي "البنت الكريمة":

تراعي الإسلام كل الفرد حتى البنت، فجعلها قرة عين بعد أن كانت محرومة، مطروحة، ممنوعة، يئد في التراب. وجعلها زينة البيت، وعطوفة الأبوين لذلك نرى نماذج من سيرة الصحابة كيف عاملوا مع البنات في حياتهم الدينية والاجتماعية وذلك لتربيتهم من رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فهذا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يحب بناته ويحب فاطمة، وفاطمة تحبه، وهذا أبوبكر ويحب ويكرم بنتاه عائشة وأسماء، وهؤلاء الصحابة يبكون على أفعالهم القبيحة "وأد البنات" بعد أن نوروا بنور الإسلام وهداهم الله إلى الإسلام.

بشر رسول الله ﷺ المؤمنين بالجنة لأجلهن:

عن عائشة رضي الله عنها قالت :**قالتْ امرأةٌ معها ابنتانِ لها تسأَلُ، فلم تجدْ عندي شيئًا غيرَ تمرةٍ، فأَعطيتُهَا إيَّاها، فقسمتها بينَ ابنتيْها، ولم تأكُلْ منها، ثم قامتْ فخرجت فدخل رسول الله ﷺعلينا فأخبرتُهُ، فقال :من ابْتُلِيَ من هذهِ البناتِ بشيءٍ كُنَّ لهُ سِترا من النار**[29]

ج: الأخت الشقيقة:

الإسلام لم يغفل عن حقوق الأمهات والبنات والأخوات لذا يعلمنا محبتهن، وقد ورد ذكرهن في النصوص الدينية، وجعل لهن من الحق على الأبناء، والأباء، والإخوان. فاالأخ يحب أختها ويعطيها حقها ويراعيها كل ما تحتاج إليها، والأمر واضح من سيرة الصحابة مثل قصة جابر عندما توفي أبوه وترك خلفه سبع بنات أو تسع بنات، فراعى جابر حقوقهن، لذلك تزوجت إمرأة ثيبا[30].

أو يدفع عن حقوقها لو زوجها وزوجها يظلمها أويهينها، فيكرمها مع نصحها، والقيام على شؤونها وقصد الخير لها.

د: الجدة المحترمة (منظمة البيت).

يعلم الإسلام احترام الأباء والأمهات، والأجداد والجدات، وذلك بالنظر لدورهم البارز ومكانتهم المرموق في بناء والأسرة وتربية المجتمع. ومن بينهم إحترام الجدة وذلك باعتراف أنها من بين منظمي أمور البيت، لذلك ورد ذكرها في القرآن الكريم والأحاديث النبوية.

هذا كلها نظرا عابرا عاما واحتراما عاما لهؤلاء الناس في المجتمع الإسلامي، أما من ناحية الدين فالمرأة أيضا تظهر بصور مختلفة:

أ: مسلمة مؤمنة بالله ورسوله.

تظهر المرأة المسلمة مؤمنة تؤمن بالله ورسوله وترسخ عقيدتها الصحيحة بتعليم الإسلام لذا وصفها الله تعالى في القرآن:

[إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِماتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ وَالْقانِتِينَ وَالْقانِتاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِراتِ وَالْخاشِعِينَ وَالْخاشِعاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِماتِ وَالْحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحافِظاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِراتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً][31]

وكذا وصفها رسول الله ﷺفي الأحاديث الكثيرة لاتعد ولا تحصى.

فهؤلاء المؤمنات الفائزات بإيمانهن تهتم به، جعلن نصب أعينهن الفوز بمرضاة الله تعالى ومرضاة الرسولﷺ.

ب: قانتة، تائبة، عابدة، صائمة، قائمة آناء الليل.

ترى وصف المؤمنة بالله ورسوله قانتة في طاعة الله ورسوله، تقوم آناء الليل، تائبة، تاركة للذنوب كثير الرجوع إلى الله تعالى. تكثر في العبادة. وتصوم لرضوان ربها، لذلك وصفها الله تعالى بأوصافها:

{مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا}[32]

وسير الصالحات يذكر أحوال هؤلاء المؤمنات العابدات الصالحات.

ج: معلمة مربية للأطفال.

المرأة المسلمة في المجتمع عملها واسع ، فهي الأم المربية التي تربي الأجيال، وأنها تقوم بتدبير منزلها. وهي معلمة ومتعلمة تتعلم مايهمهما من أمور دينها وتتفقه فيه، فتنطلق داعية ومعلمة لغيرها: قالت السيدة عائشة رضي الله عنها:

"يرحم الله نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء من التفقه في الدين"

كان رسول الله ﷺ يوجه النساء ويرشدهن، ويعلمهن الإسلام، والدين، والأمر بالمعروف، وتربية الأطفال، فكن يحفظن هذا ويعملن على هذا، ويروين للأخرين[33].

فهذه عائشة تروي الأحاديث عن رسول الله ﷺ وترشد المؤمنات، وتعلمهن من شأن المرأة المؤمنة في المجتمع الداعية تأمر بالمعروف كما ذكر في القرآن الكريم:

{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}[34]

لا شك أن مجال المرأة في المجتمع واسع جدا، فهي تتعلم ما تحتاج إليه النساء من الطب والصيدلة، لتكشف عن ضرورة نساء الأخر.

من الصحابيات ممن اشتهر بمعرفة علم الطب والرقية وما يتعلق بهما ذاك العصر هي الشفاء بنت عبد الله العدوية، التي رخص لها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في الرقية من الحمة والعين والنملة[35].

فهذا يدلنا أن الإسلام تراعي المرأة ويرخص للمرأة أن تتعلم العلوم الدينية، والعصرية كي تكشف عن حاجات النساء في المجتمع.

د: مجاهدة في سبيل الله بصور مختلفة.

لا تقل حظ المرأة عن الجهاد، فالمرأة المسلمة تصبر على الشدائد وتواجهها، تجاهد في سبيل الله لمرضاة ربها.

تختلف صور جهاد المرأة في الإسلام، فأحيانا تخرج وتقوم بدورها من سقاية المجاهدين ومداواة الجرحى وماشابه من ذلك، والمثال واضح من سير النساء في عصر

النبوة وما بعدها مثل صفية بنت عبد المطلب التي خرجت مع النساء في غزوة أحد[36].

وأحيانا تبايع بالجهاد مع إمام المسلمين كما صرح به أصحاب السيرة أن المسلمات بايعن رسول الله ﷺ مثل أم عمارة وفريعة بنت مالك وغيرها بايعن رسول الله ﷺ بيعة الرضوان[37].

وأحيانا تجاهد بالسيف والسلاح كما هو واضح من بعض سيرة النساء مثل أم عمارة نسية بنت كعب الأنصارية شاركت في الغزوات وقاتلت بالسيف حتى قطعت يدها في اليمامة[38].

فالمرأة المسلمة تهتم بشؤون دينها ودنياها، وكل ذلك يتضح عندما نرجع إلى تاريخ الأمة الإسلامية، وندرس كتب السيرة دراسة شاملة. أما المرأة عند الشعوب الأخرى فإنها قد حُرمت من حقها وهي تعيش تحت ظلم ومهانة، ولم نرَ لها أي أثر وأي صورة خاصة إلا فقط أنها امرأة تتزوج وأم تلد. فهذه النبذة هي تلخيص المقالة التي بين أيدينا، والأمر يتطلب منا دراسة شاملة نقدية نوازن فيها وضع المرأة في المجتمع الإسلامي ووضع المرأة في المجتمعات غير الإسلامية. وسيتضح الأمر إن شاء الله أكثر بعدما نرجع إلى فقه السيرة، وإلى المصادر والمراجع التي تتعلق بالموضوع.

تعلم وتعليم المرأة (التحديات التي تواجه المرأة)

التعليم حق أساسي من حقوق الإنسان، ويعد من أساسيات النهوض في المجتمع، وهو بناء الفرد ومحو الأمية في المجتمع، والمحرك الأساسي في تطور الحضارات ومحور قياس تطور ونماء المجتمعات فتقيم تلك المجتمعات على حسب نسبة المتعلمين بها. وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته: "الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم[39]"

فالتعليم يعد تحقيق التقدم وتقويم سلوك الإنسان في مختلف ميادين الحياة العلمية والاجتماعية وهو من حق كل فرد ذكر كان أو أنثى وهذا ما أقرته كل الدول دون النظر إلى الجنس أو العمر أو مكان الإقامة.

إن المرأة كانت في ظِلِّ الإسلام تتعلم وتتلقَّى ثقافة عالية، كما كانت تتحلَّى بالوعي العميق. و لم تحرم من التعليم والتعلم بل فرض عليها أن تتعلم كما ورد في الحديث: "طلب العلم فريضة على كل مسلم[40]" وفي رواية "ومسلمة"

وفي هذا العصر وما سبقه من العصور تنوع تعليم المرأة بأشكال وأنماط مختلفة، إلا أن تخصيص دروس شرعية لها لم يأخذ الوضع السليم، وهذه فرصة لأهل العلم في الجامعات والوزارات المعنية في الشؤون الإسلامية أن يخصصوا دروسا خاصة للنساء كما فعل رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ولتأخذ المرأة المسلمة حظها الأوفر، وبخاصة في هذا الوقت الذي تكالب فيه أعداء الإسلام من الشرق والغرب على المرأة المسلمة، لإبعادها عن وظيفتها التي خلقها الله من أجلها.

عمل المرأة في المجتمع

أعطى الإسلام المرأة حق الأعمال كما أعطاه الرجل، وجعل قيمتها في عملها وجعلها تتصرف فيه من دون عارض. و أعطى الإسلام المرأة حق العمل كما أعطاه للرجل، وجعل قيمتها في عملها وجعلها تتصرف فيه من دون عارض.

وتظهر لها ظاهرتين في هذا: تشريعية وتطبيقية.

أما التشريعية: قبل الزواج لم يجعل الشرع الإسلامي لأحد الحق في إجبارها على العمل المترلي، من زاوية شرعية فالمرأة حرة في نفسها من هذه الجهة، وهي لاتقبل قول أحد، وإنما بالإحسان، يحسن أبويها وأخواتها، وما إلى ذلك.

واما بعد الزواج: فلم يشرع الشارع الإسلامي فرض العمل المترلي على المرأة الزوجة فلم يوجبه عليها بل انطلق إلى أبعد من ذلك فاعتبر أن لها الحق في أن ترضع ولدها وتحصنخ وتأخذ الأجرة على ذلك، وليس للزوج أن يمتنع من ذلك كما قال الله تعالى:

{وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى}

والحاصل أن الأسلام لا يطيق المرأة مسؤلية العمل المترلي انطلاقا من تدبير المترل فقط وإرضاع أولادها وإنما يترك لها الحرية في أن تعمل بأجر، أو لا تعمل، و يحمل أن يثير فيها من ناحية روحية، ولا يمنعها في الوقت نفسه من عمل خارج البيت وفق شروط خاصة تحفظها حياتها الزوجية وإنسانيتها من جهة أخرى.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحب ويرضاه من القول والعمل.

---

[1] سورة روم الآية 21

[2] سورة الحجرات الآية 13

[3] هود الآية 61

[4] الخازن: تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التتريل، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ 2/ 491

[5] مجلة البحوث الإسلامية 48/ 375

[6] الإما أحمد: مسند أحمد مؤسسة الرسالةالطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م 15/ 319)

[7] ليس هذا جزء الحديث كما صرح به العلماء وإنما هو قول الأمام أحمد بن حنبل

[8] أبو داود السجستاني: سنن أبي داود، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت 4/ 229

[9] القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، 1323 هـ 2/ 450

[10] سورة النساء الآية: 19

[11] النيسابوري: صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي - بيروت (2/ 1091)

[12] مجلة البيان (178/ 100)

[13] محمود مهدي ومصطفى: نساء حول الرسول صلى الله عليه وسلم، دار ابن كثير، بيروت، ط 7، 1998م ص: 9

[14] الترمذي: سنن الترمذي ت بشار، دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: 1998 م (2/ 458

[15] النسائي: سنن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، 1406 – 1986، 7/ 63

[16] سورة الإسراء الآية: 70

[17] عودة الحجاب (2/ 47)

[18] محمد أحمد إسماعيل المقدم عودة الحجاب دار طيبة (توزيع دار الصفوة) - الطبعة العاشرة، 1428 هـ - ، 07م2\48

[19] محمد أورنك زيب عالم كير(1028 - 1118 هـ = 1619 - 1707 م)، سلطان الهند، من سلالة تيمورلنك المشهور: من علماء الملوك المسلمين. فتح بلدانا كثيرة. ووصفه مؤرخوه بأنه المجاهد العالم الصوفي. حفظ القرآن من صغره وكتب الخط المنسوب ومنه مصحف بخطه أرسله إلى الحرم النبوي. وكان مرجعا للعلماء. وأمر الأحناف منهم بأن يجمعوا باسمه فتاوى لما يحتاج إليه من الأحكام الشرعية، فجمعوا (الفتاوى الهندية - ط) أربعة مجلدات، وتسمى (الفتاوى العالمكيرية) أقام في الملك خمسين سنة، وتوفي بالدكن ودفن في تربة آبائه. الأعلام للزركلي (6/ 46

[20] نساء حول الرسول صلى الله عليه وسلم،ص:22

[21] السباعي: المرأة بين الفقه والقانون، دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة: السابعة، 1420 هـ - 1999 م (ص: 17)

[22] نساء حول الرسول-صلى الله عليه وسلم- ص: 25

[23] سورة النحل الآية 58-59

[24] نساء حول الرسول صلى الله عليه وسلم،ص:22

[25] مسلم: صحيح مسلم، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت 2/ 1091

[26] سورة لقمان:14(

[27] متفق عليه

[28] سنن النسائي 6/ 11

[29] سنن الترمذي 4/ 320

[30] صحيح البخاري باب عون المرأة زوجها في ولدها (7/ 66(

[31] سورة الأحزاب الآية 35

[32] سورة تحريم الآية 5

[33] نساء من عصر النبوة ص 437

[34] سورة التوبة الآية:71

[35] الاستيعاب في معرفة الأصحاب (4/ 1869(

[36] نساء من عصر النبوة ص 437

37 المصدرنفسه ص:264، 305

38 المصدرنفسه ص: 26

39 المقدمة لإبن خلدون: 744

40 سنن ابن ماجه رقم الحديث: 224، دارإحياء الكتب العربي, بيروت دون التاريخ